مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 05 / العـدد:01 (2021)
ص 359-379

"منحة الأتراب" للشيخ محمد باي بلعالم التواتي -قراءة في منهج الشرح-

"Minhat al-atrab" of the Sheikh Mohamed Bey Belaalem a reading in a methodology of explanation

الباحث (ة)	مؤسسة الانتماء	البريد الالكتروني
د. عيسى شاغة D. AISSA CHAGHA	كلية الآداب واللغات جامعة البويرة	a.chagha@univ-bouira.dz

ملخص:

جاء هذا البحث ليعرّف بإسهامات علماء الجزائر في إثراء الدرس اللغوي العربي وإحياء تراثه؛ حيث اخترت أحد أهم أعلام اللغة والنحو الجزائريين المحدثين، وهو الشيخ محمد باي بلعالم، لأقف على منهجه المتميز في الشرح، من خلال كتابه (منحة الأتراب)، الذي شرح فيه أرجوزة (ملحة الإعراب) للحريري، وقد عرّفت بالعلامة محمد باي بلعالم – رحمه الله – وبأهم جهوده العلمية، ثم كشفت عن أهم الخصائص العامة لمنهجه في الشرح، والمصادر العلمية المتنوعة التي استعان بها الشيخ، وكذا الشواهد والأمثلة التي ساقها تدعيما لآرائه.

كلمات مفتاحية: باي بلعالم، منحة الأتراب، منهج الشرح، شرح ملحة الإعراب.

Abstract:

This research comes to define the contributions of Algerian scientists to enrich the Arabic language lesson and relive its heritage. It has chosen one of the most important modernists Algerian scientists of language and grammar, "Sheikh Mohamed Bey Belaalem", to stand at his featured methodology in the explanation within his book "Minhat al-atrab" in where he explained the poem "Molhat al-I'rab" of Al-Hariri, The research introduced the searcher Mohamed Bey Belaalem - God's mercy - and his most important scientific efforts, then it revealed the most important general characteristics of his method of explanation, diverse scientific sources that the Sheikh was based on, as well as the evidences and examples that he used to support his opinions.

Keywords: Bey Belaalem, Minhat al-atrab, methodology of explanation, explanation of the Molhat al-I'rab.

1. مقدمة:

نشأ النحو العربي ونما وازدهر في المشرق العربي، وكثر طلابه ومريدوه وعلماؤه هناك، وكان لهؤلاء فضل كبير في جمع مادته الأساسية، وصياغة نظريته وأصوله وقواعده، بحكم توافر المادة اللغوية الفصيحة والمتكلمين العرب الأقحاح. ومع ذلك لم يبق النحو مشرقيا، ولا اقتصر تعلمه والنبوغ فيه على المشارقة فحسب، بل كان للمغاربة حظ أوفر في تعلمه وتعليمه بل وبلوغ الإمامة فيه.

وقد توسعت الحركة النحوية في المغرب والأندلس ونضجت أفكارها وكثرت مؤلفاتها حتى شكلت مدرسة نحوية قائمة بذاتها، أطلق عليها بعض الدارسين اسم "المدرسة المغربية أو المغاربية". وهي مدرسة لا تقل شأوا عن نظيراتها من المدارس النحوية في المشرق العربي كالمدرسة البصرية والكوفية والبغدادية والمصرية.

وفي هذا السياق كان هدف هذا البحث تسليط النور على أهم أعلام النحو في المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة، وهو العالم النحوي الشيخ محمد باي بلعالم ، فقد كان الشيخ – رحمه الله - كثير العناية بشرح المتون اللغوية والدينية النثرية منها والمنظومة، ومن أشهر ما صنف في ذلك كتابه "**منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب**"، الذي نحن بصدد دراسته للوقوف على المنهج المتبع فيه.

حيث انطلق البحث من الإشكالية الآتية: **ما هي أهم خصائص منهج الشيخ محمد باي بلعالم في (منحة الأتراب)؟ وما هي أهم المصادر والشواهد التي اعتمد عليها في شرحه وتدعيم آرائه؟**

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا البحث على ستة مطالب؛ حيث تناولنا في المطلب الأول التعريف بالمنظومة المشروحة (ملحة الإعراب للحريري، وفي المطلب الثاني قدّمنا تعريفا موجزا بالشيخ بلعالم، وأهم محطات حياته العلمية والبحثية، لنتناول في المطلب الثالث التعريف بكتابه (منحة الأتراب) من حيث الشكل، ونشرع بعد ذلك في دراسة منهجه في الشرح، وقد استغرق ذلك أربعة مطالب، درسنا فيها مسلكه في عرض مادة شرحه، وأهم الخصائص العامة التي تميز بها الشرح، وكذا أهم مصادره وشواهده. ونختم أخيرا بخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

2. التعريف بملحة الإعراب (المنظومة).

"**مُلحة الإعراب وسنخة الآداب**" أرجوزة تعليمية في النحو العربي، نظمها أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، الحرامي، البصري، النحوي، والأديب، صاحب المقامات، المتوفى

سنة ست عشرة وخمسمائة للهجرة (516 ه) ببني حرام من البصرة.[1]

تتألف منظومة الحريري - على الراجح - من خمس وسبعين وثلاثمائة (378) بيت من الرجز المشطور المزدوج، وهو عدد قليل إذا ما قورن بعدد أبيات ألفيتي ابن مالك وابن معط، لذلك تصنف "ملحة الإعراب" ضمن موجزات علم النحو، التي اعتنى العلماء بتصنيفها نثرا ونظما ليودعوها أهم القواعد الأساسية في النحو دون الغوص في معضلاتها تخفيفا على المتعلمين ليسهل عليهم حفظها.

ونظرا لأهمية منظومة "ملحة الإعراب"، وقيمتها العلمية العالية، وتداولها بين المتعلمين، فقد انبرى لشرحها والتعليق عليها واختصارها جمع من أهل العلم على مر العصور والأزمنة، كل على طريقته الخاصة، يأتي على رأسهم الناظم نفسه "الحريري"، الذي كان أول من شرح منظومته "ملحة الإعراب"، ثم تلاه أبو العباس أحمد بن المبارك الحوفي (ت 664ه)، وبدر الدين محمد بن محمد بن مالك المشهور بابن الناظم (ت686ه)، ومحمد بن حسن بن سباع الصائغ (ت 732ه)، وسراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر (ت802ه)، وشهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملي (ت844ه)، وسريحا بن محمد بن سريحا المصري (ت888ه)، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911ه)... وغيرهم.[2] ومن هؤلاء الشراح أيضا الشيخ محمد باي بلعالم الذي لا يقل شرحه أهمية عن تلك الشروح، بل إنه يفوق بعضها في قيمته العلمية.

1) التعريف بالشيخ باي بلعالم (الشارح).

هو الشيخ الجليل محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم الفلاني القبلوي، الشهير بالشيخ باي، من مواليد عام 1348 ه الموافق لـ 1930 م بقرية ساهل التواتية من بلدية أقبلي دائرة أولف ولاية أدرار.[3]

نشأ الشيخ باي في أسرة علمية متدينة، فقد كان والده فقيها وإماما ومعلما ومؤلفا، لذلك بدأ تعلمه في سن مبكرة، حيث أدخل إلى كُتّاب قرية ساهل لحفظ القرآن الكريم، ثم أخذ عن والده مبادئ العلوم الفقهية والنحوية، وكذلك عن الشيخ محمد المغيلي، ثم انتسب إلى زاوية الشيخ أحمد الطاهري السباعي فحصّل فيها العلوم الشرعية واللغوية. وقد أجيز الشيخ بإجازات عدة من كبار العلماء داخل الوطن وخارجه، منها: إجازة عامة من شيخه الطاهر بن عبد المعطي، وإجازة عامة من الشيخ الحاج أحمد الحسن، وإجازة في الحديث وعلومه من السيد علي البودليمي، وأجيز في مكة

المكرمة من العالم الشريف محمد بن علوي المالكي، كما تحصل على شهادة الأستاذ الإمام من وزارة الأوقاف، وشهادة الليسانس في العلوم الإسلامية.[4]

كانت حياة الشيخ بلعالم حافلة بالنشاطات العلمية والتعليمية، حيث التحق بالسلك الديني إماما ممتازا ومدرسا خطيبا ومفتيا وقاضيا شعبيا يحل النزاعات ويصلح ذات البين، يكتب المقالات بالجرائد، وينتدب للتحدث في القضايا الدينية بالإذاعة والتلفزيون، ناهيك عن ملاقاته ومدارسته ومناظرته العلماء داخل الوطن وخارجه.[5]

ولعل أهم تلك النشاطات تأسيسه لمدرسة مصعب بن عمير بمدينة آولف، التي تعنى بتدريس الطلاب الأمور الدينية واللغوية، حيث كان الشيخ باي المدرس بها والمشرف والقيم، أسسها إبان الحقبة الاستعمارية، ثم اضطر إلى غلقها مؤقتا خوفا على طلبته من المستعمر، ليعيد فتحها بعد الاستقلال ويجعل نظام الدراسة بها داخليا بعد أن كان خارجيا قبل غلقها.[6]

توفي الشيخ باي بلعالم صباح يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة (1430 هـ) الموافق للتاسع عشر أفريل من عام تسع وألفين للميلاد (19 أفريل 2009 م). وقد خلف وراءه إرثا علميا وفكريا واسعا، حيث تربو مؤلفاته على الأربعين في مختلف العلوم والفنون من فقه، ونحو، وعلوم القرآن، وأصول الفقه، والسيرة، ومصطلح الحديث، والرحلات والتاريخ، والتراجم والسير، والشعر... نذكر منها: زاد السالك شرح على أسهل المسالك، والكوكب الزهري نظم على مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري، والجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية، والرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم، واللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم، وكفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم، و"منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب" الذي نحن بصدد دراسته، وضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم، وكشف الجلباب على شرح جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب، وركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول، وقبيلة فلان في الماضي والحاضر، والرحلة العلية إلى منطقة توات... وغيرها.[7]

2) التعريف بمنحة الأتراب (الشرح).

"منحة الأتراب" من أشهر مؤلفات الشيخ باي بلعالم شرح فيه "ملحة الإعراب" للحريري، والشرح يقع في اثنتين وستين ومائة (162) صفحة من الحجم الصغير، فرغ الشيخ من تأليفه (يوم الأربعاء الموافق للثالث من جمادى الثانية عام 1414 هـ بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير بأولف).[8] ثم طبعه بدار هومة للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر العاصمة.

وقد قسّم الشيخ شرحه على ثمانية وخمسين (58) قسما ما بين فصل وباب نحوي، وجعل عنوانه مسجوعا على طريقة الأقدمين في التأليف، واتبع الأسلوب نفسه في كتابة مقدمته التي لا تخلو من صنعة بديعية ظاهرة، أعرب فيها عن قصده من تأليف هذه الكتاب، والدافع الذي حركه إلى تحقيق ذلك، وهو تلبيته لطلب بعض الأحباب تأليف شرح يبسط منظومة ملحة الإعراب، وهو الدافع الذي نجد الكثير من العلماء القدامى يذكرونه في مقدمات كتبهم، إذ غالبا ما يؤلفونها بطلب من أمير أو صديق حميم، وشيخنا لا يقل شؤوا عن هؤلاء، يقول في مقدمة شرحه: (... فإنه لا سبيل لفهم معاني السنة والكتاب إلا بعد معرفة الإعراب، ولما كانت "ملحة الإعراب وسنخة الآداب" من أجل ما ينتفع به الطلاب، وأجمل ما يثير الإعجاب، لكونها أزالت عن النحو الحجاب، وكشفت عنه النقاب، وقشعت عنه الضباب، وقد طلب مني بعض الأحباب أن نضع عليها شرحا يفتح منها الأبواب ويقربها إلى الألباب، فأجبته، وإن كنت لست أهلا لمن يُحضر للسؤال الجواب، ولا ممن يميز بين ما يُستحسن وما يُعاب).[9]

3) مسلك الشيخ بلعالم في عرض مادة "منحة الأتراب".

لم تتضمن مقدمة "منحة الأتراب" توضيحا لمنهج الشيخ باي بلعالم في شرح أبيات "الملحة" ولا الخطة التي سيتبعها، رغم أن بعض القدماء – الذين تأثر بهم وسار على نهجهم - كانوا يشيرون إلى شيء من ذلك في مقدمات كتبهم، ومع ذلك يمكن أن نستنتج خطة الشيخ بلعالم في عرض مادته ونجملها فيما يأتي:

كان الشيخ يستهل شرحه بعبارة " قال الناظم، أو قال –رحمه الله-" ثم يثبت عنوان الباب أو الفصل كما ورد في متن "الملحة"، ويثبت بعده أبيات الناظم مشكولة ليتمكن القارئ من قراءتها قراءة صحيحة من غير تحريف، وهو لا يلتزم في ذلك بعدد ثابت من الأبيات يشرحها، بل يورد أبيات الباب أو الفصل كما هي دفعة واحدة - قد تكون بيتين أوثلاثة أو أكثر من ذلك – ثم يشرحها لينتقل بعدها إلى شرح أبيات باب آخر، وقد تطول أبيات الباب الواحد فيقسمها إلى أجزاء كما فعل في بابي "المصدر" و"كان وأخواتها"[10] ليشرح كل جزء بمفرده حتى لا يطول الشرح على القارئ فينسى أبيات النظم.

فخطة الشيخ بلعالم – رحمه الله – في عرض مادة شرحه كانت تابعة لخطة الناظم، إذ التزم بترتيب أبيات "الملحة" كما جاءت في الأصل، من دون أي يحدث عليها أي تعديل، رغم أن خطة الحريري في نظم "الملحة" لم تكن موفقة إلى حد ما، حيث جعل باب "البناء" في آخر الكتاب ولم يقرنه

بباب "الإعراب" كما يفعل كثير من النحويين، ويبدأ بالمجرورات ثم يتبعها المرفوعات من الأسماء مؤخرا بابي "كان وأخواتها" و"إن وأخواتها"، كما أخر باب "التوابع" كثيرا بعد باب "أوجه إعراب الأسماء"، وقدّم الأفعال التي لا تتصرف على الأفعال التي تتصرف، وحشر بابي "التصغير" و"النسب" بين بابي "النداء" و"التوابع" اللذين لا يوافقانهما من قريب أو بعيد.[11] لذلك تمنينا لو أن الشيخ بلعالم أعاد ترتيب أبواب "الملحة" أثناء شرحه لتوافق الترتيب الذي اشتهر بين العلماء والدارسين وطلبة العلم واستقر عليه الدرس النحوي.

وقد كان الشيخ –رحمه الله- يحرص على كتابة عبارة الناظم بخط غليظ في ثنايا الشرح لتمييزها عن كلامه، وكان يلتزم بتقديم شرح معجمي وتعريف اصطلاحي للباب أو الفصل يستهل به شرحه للأبيات، مثال ذلك قوله في باب "الحرف": (وهو لغة: يطلق على طرف الشيء وعلى شفيره وعلى كل حرف من حروف التهجي، واصطلاحا: هو كل كلمة لم تدل على معنى في نفسها أصلا بل معناها في الداخلة عليه زائدة على أصله).[12] وقوله في باب "الحال": (الحال لغة: البال... وفي اصطلاح النحويين هو: تبيين ما انبهم من الهيئات).[13] وقد يستعين بالتعريف المعجمي في ثنايا الشرح حين تدعو الحاجة إلى ذلك، ومن أمثلته: شرح لفظ "سمط" في باب الفعل المضارع: (والسمط: هو الخيط مادام فيه الخرز، وإلا فهو سلك).[14] ولفظ "يستجيش" في قوله: (ومعنى استجاش: اجتمع، ومنه سمي الجيش جيشا).[15]

عرّف الشيخ بلعالم في مستهل كتابه بالناظم "الحريري" تعريفا موجزا وذكر أهم مؤلفاته، ثم أطرى عليه إطراء حسنا في ختام الكتاب ، مذكرا بمحاسن ما اشتملت عليه "ملحة الإعراب"، وما لها من قيمة علمية ومكانة في نفوس الطلاب المبتدئين والعلماء المنتهين. ثم ختم الشيخ مؤلَفه بتقييد اسمه الكامل وتاريخ الفراغ من شرحه على طريقة القدماء في التأليف، ودعا لنفسه ولجميع المسلمين بالخير والفلاح.

4) الخصائص العامة للشرح.

لا يختلف منهج كتاب "منحة الأتراب" كثيرا عن مناهج الشروح التراثية للمتون، فمؤلفه الشيخ بلعالم سليل أولئك العلماء الكبار الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم، والذي يطالع هذا الكتاب يكتشف للوهلة الأولى من أسلوبه وطريقة عرض مادته ومنهجه في التناول أنه يطالع كتابا تراثيا بأتم معنى الكلمة، لا كتابا مؤلفا في أواخر القرن العشرين، وما ذلك إلا لإدمان الشيخ على مطالعة كتب التراث العربي، وتكوينه تكوينا تراثيا بامتياز، فأبى إلا أن يسلك نهج القدماء ويسير على طريقتهم في

التأليف، وهذه خصيصة نلمحها في كل مؤلفاته بلا استثناء. لذلك سنحاول في هذه العجالة أن نلخص أهم الخصائص العامة لمنهج الشيخ بلعالم في شرحه على النحو الآتي:

- لم يتبع الشيخ بلعالم المنهجية العلمية المعروفة في البحوث والمؤلفات الحديثة، فهو لا يهمش نقوله، ولا يستعين بالرموز التوضيحية، ولا يكلف نفسه تخريج شواهده من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأبيات الشعر العربي، وهذا ما يجعل من كتاب "منحة الأتراب" مخطوطا تراثيا يحتاج كغيره من المخطوطات إلى التحقيق.

- كان أسلوب الشرح أسلوبا علميا محضا، يبتعد عن ضروب البيان وألوان البديع من سجع ومحسنات كما هو الشأن في مقدمته، لأن المقدمة تسمى عند القدماء "خطبة الكتاب"، لذلك يراعون فيها ما كانوا يراعونه في خطبهم المنبرية من بديع وبيان، أما التعامل مع قواعد النحو قصد تبسيطها للمتعلمين فلا يقبل إلا الأسلوب العلمي الذي اتبعه الشيخ بلعالم في الشرح كله، ومن سمات هذا الأسلوب الدقة والوضوح والتركيز والإيجاز في العبارة وترك فضول الكلام. وإن ابتعاد الشيخ بلعالم عن الالتواء في طرح الأفكار والتفنن في العبارة جعل شرحه يحظى بالقبول عند المتعلمين المبتدئين في علم النحو والمنتهين فيه على حد سواء.

- يكتفي الشيخ بلعالم في شرح بعض الأبيات بفك مباني النظم لا غير، وذلك إذا كانت معانيها واضحة، أو كانت غير متضمنة قواعد نحوية تحتاج إلى الشرح.

- يهتم الشيخ بلعالم كثيرا بالإعراب (التحليل النحوي) ويكثر منه أثناء الشرح، وذلك لأن إعراب الألفاظ والجمل وسيلة من وسائل الشرح، توضح المعنى وتقربه، كما تجعل الطالب المبتدئ يتمرن على تحليل الكلام، وترسخ قدمه في علم النحو، لذلك نجد الشارح تارة يعرب أبيات الناظم، وتارة أخرى يعرب الشواهد والأمثلة التوضيحية التي يسوقها، فمن أمثلة إعرابه لأبيات الناظم ما جاء في إعراب البيتين:

ياسائِلِي عن الكَلامِ المُنْتَظَمْ حَدًّا ونَوْعًا وإلى كَمْ يَنْقَسِ

فاسْمَعْ هُديتَ الرُّشْدَ ما أقُولُ وافْهَمهُ فَهْمَ من لَهُ مَعْقولُ

حيث اكتفى الشارح "بلعالم" في شرح هذين البيتين بإعراب ألفاظهما إعرابا إجماليا مختصرا فقال: ("**يا سائلي**": الياء: للنداء، وسائلي: منادى مضاف، "**عن الكلام**": جار ومجرور، "**المنتظم**": نعت، "**حدا**": تمييز، "**نوعا**": معطوف، "**وإلى كم**": جار ومجرور، و"**ينقسم**": فعل مضارع... "**اسمع**": فعل أمر، "**هُديت**": فعل ماض مبني لمل لم يسم فاعله، "**الرشد**": مفعول ثان لهديت، وجملة هديت دعائية معترضة بين الفعل والمفعول، "**ما**": مفعول اسمع، "**أقول**": فعل مضارع، "**وافهمه**": فعل أمر، والهاء مفعول به، و"**فهم**": مصدر، "**من**": مضاف إليه، "**له**": جار ومجرور خبر متقدم، "**معقول**": مبتدأ مؤخر).[16] ومن أمثلة إعرابه الشواهد ما جاء في إعراب قوله تعالى: (**وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي**).[17] حيث يقول: ("**الواو**": عاطفة، "**لا**": ناهية، "**تطغوا**": فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون، و"**الواو**": فاعل، "**فيه**": جار ومجرور متعلق بـ"**تطغوا**"، "**فيحل**": الفاء سببية، "**يحل**": فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية، و"**عليكم**" جار ومجرور متعلق بـ"**يحل**").[18]

- قد يقف الشارح أحيانا عند بعض كلمات النظم فيعالجها معالجة صرفية بحيث يحدد بنيتها، ويبين أصل اشتقاقها، والتغييرات الصرفية الطارئة عليها، مثلما فعل مع كلمة "أقول" في أول بيت من "الملحة"، حيث قال: ("**أقول**" بصيغة المضارع الذي يعبر به المتكلم عن نفسه من غير أن يشاركه غيره في القول، وماضيه "**قال**" التي هي مادة القول، وأصل "**قال**" "**قَوَلَ**"، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت ألفا فصار "**قال**"، كما أن أصل "**أقُول**" "**أَقْوُلُ**" استثقلت الضمة على الواو فانقلبت إلى الساكن الصحيح قبلها فصار "**أَقُول**").[19]

- ومن خصائص الشرح الملفتة للانتباه بروز النزعة التعليمية فيه، ومن مظاهرها لجوء الشارح إلى التقسيم والتفصيل حين يذكر الناظم القواعد مجملة مختصرة، ومثال ذلك ما جاء في باب الاشتغال، حيث بيّن الشارح أركان الاشتغال وشروط كل ركن على حدة، مع التمثيل لزيادة الوضوح والفهم، رغم أن النظم لم يتناول الاشتغال إلا في بيتين واكتفى بالتمثيل له فقط. ومن مظاهرها أيضا الاكتفاء بما يحتاج إليه الطالب المتعلم، وذلك بتقديم القواعد الأساسية العامة و تجنب الخوض في التفريعات التي تحتاج إلى مستوى أعلى لاستيعابها، مع توجيه المتعلم إلى الكتب التي تهتم بالتفصيلات والتفريعات إن أراد الاستزادة، لذلك نجده يقول بين الفينة والأخرى: (وبقية التفصيل في المطولات).[20] أو يقول: (وبقية البحث في المطولات).[21] أو يقول: (ولقد اطال ابن مالك في هذا الموضوع وأعطاه ما يستحقه من التحليل والوضوح).[22]

وأحيانا أخرى يحيل على بعض كتبه التي فصّل فيها المسألة وذكر تفريعاتها كقوله مثلا: (وبقية معانيها ذكرتها في شرحنا "عون القيوم على كشف الغموم").[23] أو قوله: (بقية البحث في كتابنا "كفاية المفهوم على اللؤلؤ المنظوم").[24] أو قوله في موضع آخر: (وقد بسطت الكلام على "إذن" في شرحنا "الرحيق المختوم على نزهة الحلوم"، وذكرت ما فيها من تفصيل).[25] ومما يدخل ضمن مظاهر الاتجاه التعليمي الذي تميزت به "منحة الأتراب" ما نلاحظه من إصرار الشارح على الإكثار من التطبيقات المتعلقة بإعراب أمثلة توضيحية للقواعد النحوية النظرية، بل قد يورد مثالين أو أكثر متشابهين ويعربهما معا من دون أن يكتفي بإعراب أحدهما عن الآخر، وما ذلك إلا لزيادة التوضيح وتبسيط القواعد للمتعلم المبتدئ.

- يلجأ الشيخ بلعالم –أحيانا- إلى التعليل كوسيلة يوضح بها للقارئ السبب المنطقي لتقديم الناظم فكرة أو ظاهرة ما وتأخير أخرى، ومثال ذلك تعليله تقديم الناظم للاسم عن الفعل والحرف في التناول حيث قال: ("باب الاسم" قدّمه الناظم في الإجمال والتفصيل على الفعل والحرف لكونه يخبر به وعنه، وأما الفعل فيخبر به لا عنه، والحرف لا يخبر به ولا عنه).[26] ومثله أيضا تعليله تقديم النكرة على المعرفة في قوله: (بدأ بتعريف النكرة قبل المعرفة، لأن النكرة أسبق وجودا وأقدم رتبة من المعرفة، لأن التعريف طارئ على التنكير).[27] وكذا تعليله تقديم الفعل الماضي على المضارع والأمر في قوله: (بدأ بالماضي لأنه أبو الأفعال ولا يتوصل إلى المضارع إلا بعد معرفته، والأمر مقتضب من المضارع).[28]

وقد يلجأ الشارح إلى التعليل ليوضح سبب تسمية ظاهرة نحوية ما كتعليله تسمية التوابع في قوله: (التوابع أربعة، وسميت توابع لأنها تتبع ما قبلها في الإعراب).[29] وبالجملة فإن الشارح قد لجأ إلى التعليل في مواضع عدة من شرحه، وكان الهدف منه في كل ذلك تنوير ذهن المتعلم وجعله يدرك خلفيات الأمور، وهو مع ذلك تعليل بسيط لا يزج بالمتعلم المبتدئ في ساحة الجدل الفلسفي العقيم الذي لا يجني منه سوى إرهاق الذهن.

- قد يستدرك الشيخ بلعالم على الناظم ما فاته في نظمه من قضايا لغوية تستحق الذكر، ويكون هذا الاستدراك إما بمجرد التنبيه على الفائت من غير تناوله في الشرح، أو يكون بالتنبيه عليه مع إثباته وتوضيحه، فمثال النوع الأول ما جاء في الحديث عن حروف الجر، حيث ذكر منها الناظم سبعة عشر حرفا واستدرك عليه الشارح ثلاثة، حيث قال: (... عدّها ابن مالك عشرين،

وعدها بعضهم أقل من عشرين، وبعضهم أكثر من عشرين، والناظم – رحمه الله تعالى – ذكر منها أربعة عشر في هذا الباب، وحروف القسم الثلاثة في باب منفرد، فيكون المجموع سبعة عشر، وترك "كسا" و"لعل" و"متى").[30] ومن أمثلة النوع الثاني ما جاء في باب العدد، حيث اكتفى الناظم بالحديث عن الآحاد والأعشار، ولم يذكر المئات والألوف، فاستدرك عليه الشارح ذلك، بِذِكر أحكامها والتمثيل لها.[31] وقد يستدرك الشيخ على الناظم بعض ما يقع في تراكيب النظم من هفوات توقعه فيها ضرورة الوزن، ومثال ذلك ما علق به على قول الناظم:

وإن أَرَدتَ قسْمَةَ الأَفعالِ لِيَنْجَلي عَنْكَ صَدا الإشـكالِ

فَهيَ ثَلاثٌ ما لهُنّ رابِعٌ ماضٍ وفِعْلُ الأمرِ والمُضارِعُ

حيث توقف الشارح مستدركا عند قول الناظم " **فَهيَ ثَلاثٌ** " فقال: (... والأولى أن يقال ثلاثة، لأن العدد هنا للمذكر، ولكن حذفت التاء لأجل الوزن).[32]

- يعقد الشيخ بلعالم بين الحين والآخر بعض التنبيهات بعد أن يفرغ من شرح أبيات الباب، حيث يتناول الأمور الأساسية أثناء الشرح، ويؤخر المسائل المتصلة بالموضوع من قريب أو بعيد فيجعلها في شكل تنبيهات تحمل فوائد قّيمة وأحكاما علمية هامة وإن لم تكن من صميم الموضوع، وأغلبها قصير لا يتعدى السطرين مثل التنبيه الذي أورده في "باب التصغير" وقال فيه: (وأول من تكلم على التصغير هو الخليل بن أحمد رحمه الله).[33] والتنبيه الذي أورده في "فصل في الشرط والجزاء" وقد قال فيه: (اعلم أن كل ما يجزم فعلا واحدا فهو حرف، وإن كل ما يجزم فعلين اسم، إلا "إن" و"إذما").[34] ومن التنبيهات ما هو أطول من ذلك كالتنبيه الذي أورده في "باب الاشتغال" والمتعلق بالأشياء التي لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، إذ عدها عشرة، وراح يفصل الحديث عنها ويمثل لها.[35]

- لم يكن الشيخ بلعالم مولعا بحشد الخلافات النحوية والآراء المذهبية المختلفة لجنوحه إلى الإيجاز في مصنفه هذا، ومع ذلك كانت تستدعيه الحاجة أحيانا ليشير إشارة خفيفة عابرة إلى بعض الآراء النحوية، من دون أن يفصل الكلام فيها، ومثال ذلك إشارته إلى خلاف علماء البصرة والكوفة حول منع صرف ما ينصرف في قوله: ("والمصروف قد لا ينصرف" هو مذهب الكوفيين، وأما البصريين فلا يجيزون ذلك البتة).[36] وقد يشير الشارح إلى رأي نحوي ما أو جماعة من النحاة دون أن يتطرق إلى الآراء المخالفة لهم، كإشارته إلى مذهب سيبويه في همزة الوصل، إذ

يرى أنها متى وقعت في درج الكلام سقطت، يقول الشيخ بلعالم: (وقوله: "**إذ ألف الوصل متى تُدرج سقط**" هذا مذهب سيبويه لأنها عنده همزة زائدة يتوصل بها إلى نطق الساكن).[37] والشيخ مع ذكره باختصار وإيجاز شديد خلاف النحاة لم يكن يبدي رأيه في ذلك، فهو لا يرجح رأيا على آخر، ولا ينتصر لمذهب دون سواه، بل كان في شرحه معلما حذقا يراعي أقدار متعلميه، فلا يطيل عليهم بالجدل والخلاف، بل يقدم لهم ما استقر عليه الدرس النحوي من حقائق، وينبههم إلى الخلاف ليطلع عليه في كتب الخلاف من أراد أن يستزيد.

- يميل الشيخ بلعالم – أحيانا – إلى الاستطراد الهادف الذي يقدم من خلاله فائدة علمية من دون أن يبتعد كثيرا عن الموضوع الأصلي للشرح أو يجعل الأمور تختلط على القارئ، ومثاله ما نجده في شرحه كلام الناظم عن القسمة الثلاثية للفعل إلى ماض ومضارع وأمر، حيث استطرد الشارح للحديث عن جوانب صرفية للفعل، مع تقديم أمثلة لها، والاستشهاد بما يحفظه من نظم في ذلك.[38] وفي "باب نواصب الفعل المضارع وجوازمه" استطرد الشيخ للحديث عن أدب مجالسة العلماء والاستماع إليهم ومناظرتهم.[39]

- يُعرِّف الشارح ببعض الأعلام والأمكنة التي ترد في كلام الناظم، فمن ذلك تعريفه بالخطيب "قس بن ساعدة" وبسوق "عكاظ" في قوله: (قُس هو بن ساعدة الذي كان يضرب به المثل في الفصاحة، مات قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعكاظ: سوق مشهورة كان العرب يجتمعون فيها ويلقون فيها الخطب والشعر، وكان قس بن ساعدة من الممتازين في ذلك لما له من الفصاحة والبلاغة حتى أنه كان يبدأ خطبته من العشاء إلى الفجر مرتجلا ولا يتلعثم ولا يلحن).[40] ومثل هذا قوله أيضا: ("**حُنين**" اسم واد وراء غرفة بين مكة والطائف... و"**منى**" وهي المشعر المعروف، فيها ملتقى حجاج بيت الله الحرام قبل الوقفة وبعدها، وهي جزء من الحرم الشريف... "**بدر**" وهو موضع الغزوة الكبرى... وهو ماء معروف وقرية عامرة بين مكة والمدينة، يبعد من المدينة بمائة وخمسين كيلومتر، وفيه مقبرة الشهداء... "وواسط" مدينة مشهورة في العراق بين البصرة وبغداد...) .[41]

- لا يُكرر الشارح الكلام عن ظاهرة أو قضية ما إذا كان قد تحدث عنها في شرحه، بل يحيل القارئ على الموضع الذي ذكرها فيه، ومثال ذلك ما جاء في "فصل الجوازم" عند حديثه عن كسر أخر المضارع المجزوم إذا وليته "أل" التعريف، حيث نبه القارئ إلى أنه سبق الحديث عن

هذه المسألة، فقال: (تقدم الكلام عن هذه القاعدة في فعل الأمر).[42] وتجنبا للتكرار يأبى الشيخ أن يتحدث عن مسألة ما ليست في بابها، بل ينبه القارئ إلى الموضع الذي سيتحدث فيه عنها بالتفصيل، مثلما فعل باب الاسم، حيث ذكر من خصائصه دخول حروف الجر عليه، و مثل لذلك ببعض تلك الحروف، ثم وعد القارئ بمزيد من الحديث عنها في موضعها فقال: (وبقية معانيها ستأتي إن شاء الله في باب حروف الجر).[43]

- كان الشيخ بلعالم - رحمه الله تعالى – يستعمل في أغلب الأحيان المصطلحات النحوية البصرية، متابعا في ذلك الناظم الحريري الذي كان يميل إلى المذهب البصري ويؤيده، وهي في الحقيقة وإن كانت مصطلحات بصرية غير أن تداولها بين العلماء وطلبة العلم جعلها تشيع في الدرس النحوي فتزيح المصلح الكوفي من الاستعمال. وقد كان الشارح يلجأ أحيانا إلى تقديم المصطلح ثم يشرحه بمرادفه ليزيده توضيحا، ويوسع في الرصيد الاصطلاحي للمتعلم، ومثال ذلك قوله: (... حروف العلة و تسمى حروف اللين).[44] وقوله: (... يقال فيه تمييز ومميز وتفسير ومفسر وتبيين ومبين).[45] وفي بعض المواضع نجده يستعمل المصطلح ومرادفه أثناء الشرح دون أن ينبه إلى ذلك، كاستعماله مصطلح "الجر" تارة و"الخفض" تارة أخرى، واستعماله مصطلح "أفعال الشك واليقين" ثم يعدل عنه إلى مصطلح "الأفعال القلبية".[46] كما كان الشارح في بعض الأحيان ينبه القارئ إلى الخلاف الاصطلاحي بين مدرستي البصرة والكوفة، ومثال ذلك ما جاء في قوله: (اعلم أن عبارة البصريين لتلك الحركات الضم والفتح والكسر والسكون، والكوفيون لا يفرقون بين الضم والرفع ولا بين النصب والفتح ولا بين الكسر والجر ولا بين الجزم والسكون).[47] وكذا قوله: ("الوصف" وهو ما يعبر عنه بالنعت، فالتعبير بالنعت للكوفيين، والتعبير بالصفة للبصريين، يقولون: صفة ووصف).[48]

5) مصادر الشيخ بلعالم في شرحه.

كان الشيخ بلعالم - رحمه الله تعالى – في شرحه هذا يستعين بمصادر متنوعة كغيره من العلماء والشراح، الذين نقل بعضهم عن بعض واستفاد اللاحق منهم بالسابق، ولكنه لم يكن يصرح في كل الأحيان بالمصادر التي نقل عنها، ولا يمس ذلك بأمانته العلمية البتة، لأنه إنما ينقل ما دُوِّن وشاع واشتهر في الدرس النحوي، وعُرِف أصحابه سلفا، كما أنه ألف هذا الشرح لطلبته بغرض تعليمهم قواعد النحو المشهورة، ولم تكن نيته التنظير للنحو العربي، لذلك يكفيه أن يبسط للمتعلم النظم ويقرب إليه درس النحو، وهذا ما وُفّق فيه الشيخ إلى حد بعيد.

ولكننا مع ذلك لا نعدم أن نجد الشيخ بلعالم يصرح ببعض المصادر بين الفينة والأخرى، وبخاصة تلك التي أكثر النقل عنها، وتنقسم هذه المصادر المصرح بها إلى ثلاثة أقسام:

6-1) مؤلفات الشيخ بلعالم.

كان الشيخ بلعالم يستعين ببعض مؤلفاته السابقة لينقل عنها ما يحتاجه، أو ينقل بعضه ثم يحيل القارئ على تلك المؤلفات ليستزيد منها، وقد أحصينا منها أربعة كتب استعان بها الشيخ وهي: "**كفاية المنهوم على اللؤلؤ المنظوم**" استعان به في موضعين.[49] و"**عون القيوم على كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم**"، و"**الرحيق المختوم على نزهة الحلوم**" ذكرهما مرة واحدة.[50] أما منظومته "**اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم**" فقد استعان بها في اثني عشر (12) موضعا، حيث بلغ عدد الأبيات المذكورة في تلك المواضع سبعة وعشرين (27) بيتا في قضايا متنوعة.[51]

6-2) مؤلفات نثرية متنوعة.

وهي مؤلفات غيره من العلماء السابقين في المشرق والمغرب، نقل عنها الشيخ بعض الأفكار اللغوية والنحوية، ويمكن أن نحصي منها:

- معجم "**مختار الصحاح**" للرازي، استعان به مريتين لنقل بعض التعاريف المعجمية.[52]
- كتاب "**الجوهرة النحوية على شرح الأجرومية**" استعان به مرة واحدة، حين نقل عنه قصة طريفة حول حروف المضارعة "نأيت".[53]
- كتاب "**فتح البيان في مقاصد القرآن**" لصديق حسن خان القنوجي، استعان به مرة واحدة، حيث نقل عنه إعراب آية قرآنية.[54]
- كتاب "**بلوغ الغاية على الوقاية**" لمحمد بن بادي، استعان به مرة واحدة حين نقل عنه أنواع المصدر.[55]
- كتاب "**الآجرومية**" استعان به مرة واحدة حين نقل عنه بعض شروط الحال والتمييز.[56]
- نقل أقوالا "**للرضي**" و"**سيبويه** "دون أن يحدد من أين نقل عنهما .[57]

3-6) منظومات نحوية.

استعان الشيخ بلعالم في شرحه بجملة من أبيات النظم في النحو العربي لعلماء من المشرق والمغرب، ليلخّص بها ظواهر نحوية هو بصدد شرحها، أو ليوضح بها ما انبهم في ملحة الإعراب، أو لتضمن تلك الأبيات زيادة لم يذكرها الحريري، وقد كان - في الغالب - يعزو تلك الأبيات إلى أصحابها دون أن يذكر المنظومة التي تنتسب إليها، وقد أحصينا منها ما يلي:

- **"ألفية ابن مالك"**، وقد أخذت حصة الأسد في نقول ابن مالك كلها، حيث نقل عنها في خمس وستين (65) صفحة من الشرح، بمجموع أبيات قدرها مائة وستة (106) أبيات، مما ينبئ عن سعة حافظة الشيخ بلعالم، وتأثره بصاحب الألفية التي ظلت إلى وقت طويل الأنموذج الأمثل الذي تقاس به المنظومات النحوية، فيُستكمل ما بها من نقص بأبيات الألفية. ومن أمثل ذلك استعانة الشيخ بلعالم ببيت من الألفية يستكمل به ما لم يذكره الحريري من علامات الاسم، حيث يقول: (... بقي على الناظم من علامات الاسم: الخفض والتنوين ودخول الألف واللام، قال ابن مالك:

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل).[58]

- **"نظم على معاني بعض حروف الجر" لمحمد بن أُب المُزمري**، وقد نقل الشيخ بلعالم من هذه المنظومة جملة من الأبيات أوردها في "باب حروف الجر"، وبلغ مجموع ما نقله منها ثمانية عشر (18) بيتا كلها في معاني حروف الجر، نذكر منها ما استعان به الشارح لبيان معاني حرف الجر "عن"، وذلك قوله: (قال الشيخ محمد بن أب في نظمه لمعانيها العشرة:

وعن لعشرة من المعاني تنسب هاكـــها بلا تواني

وهي المجاوزة والبعديـــه والزيد للتعويض والظرفيه

والبدل التعليل الاستعلاء والاستعـــانة ومن والباء).[59]

- **أرجوزة أبي حيان المسماة "نهاية الأعراب في علمي التعريف والإعراب"**، نقل منها الشيخ بلعالم بيتين في سبب حذف الفاعل ونيابة المفعول عنه، يقول في ذلك: (وسبب حذف الفاعل وقيام المفعول نائبا عنه أمور ذكرها أبو حيان في أرجوزته بقوله:

وحذفه للخوف والإبهام والوزن والتحقير والإعظام

والعلم والجهل والاختصار والسجع والوفاق والإيـثار).[60]

- **بيت لابن النحاس** في علل منع الصرف، جاء في قوله: (وقد جمع العلل التسع ابن النحاس فقال:

اجمع وزن عادلا أنث بمعرفة ركب وزد عجمة فالوصف قد كملا).[61]

- **أبيات من النظم غير منسوبة إلى أصحابها**، تضمنت مواضيع مختلفة كان يبثها الشارح بين الحين والآخر في ثنايا شرحه، وقد بلغ مجموع هذه الأبيات اثني عشر (12) بيتا، كان الشيخ بلعالم يصدّرها بعبارة: "قال بعضهم، أو جمعها بعضهم، أو أشار بعضهم" ثم يسوق البيت أو البيتين، ومثال ذلك ما جاء في باب "قسمة الأفعال"، وهو قوله: (... وقد عد بعضهم له سبعة أحوال جمعها بعضهم بقوله:

جميع أصول الفعل سبعة أوجه فها أنا في بيت من الشعر واصف

صحيح ومهموز مثال وأجـوف لفيف ومنقوص البناء المضاعف).[62]

6) **شواهد الشيخ بلعالم في الشرح.**

تنوعت شواهد الشيخ بلعالم في "منحة الأتراب" بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعرية ومأثور كلام العرب، وقد كان يسوق تلك الشواهد لتوضيح قاعدة نحوية، أو لتأكيد فكرة ما عنّت له في أثناء الشرح، وقد لا تكون لتلك الفكرة صلة بقواعد النحو أصلا. وذلك لأن تعامل المحدثين مع الشاهد النحوي قد تغير عما كان عليه في السابق عند النحاة القدامى، فمتأخروا النحاة والمحدثون ما عادوا يسوقون الشاهد للاستدلال به على صحة قاعدة نحوية لتأكيدها، أو لنصرة رأي أو مذهب دون آخر، فعصر تقعيد القواعد قد ولّى، وإنما يسوق هؤلاء المحدثون الشاهد تمثيلا للقاعدة لغرض توضيحها وإزالة الإبهام عنها، وتقريب الفكرة إلى المتعلم، لذلك لا يهم عندهم إن كان ما يستشهد به داخلا في دائرة الاحتجاج النحوي أو خارجا عنها، ولا يهم كذلك إن كان آية قرآنية أو حديثا شريفا أو بيتا من الشعر لمحدث أو مثالا يصنعه المؤلف مادام كل ذلك يفي بالغرض.

وهذا عينه ما لحظناه من خلال تتبعنا لشواهد وأمثلة الشيخ بلعالم في شرحه، فقد كان لا يقتصر على سوق ما اشتهر عند النحاة من شواهد قرآنية وشعرية، بل يضيف إلى ذلك ما أسعفته به حافظته من أحاديث نبوية وأشعار المولدين وأمثال العرب وأقوالهم قديمها وحديثها.

وكان منهجه في إيراد تلك الشواهد والأمثلة أن يذكر الآية القرآنية كاملة إذا دعت الحاجة، وقد يقتصر منها على موضع الشاهد دون باقي الآية، وهو في كلتا الحالين لا يشير إلى السورة ولا إلى رقم الآية، كما كان يذكر نص الحديث الشريف كاملا إذا كان قصيرا ويقتصر على جزء منه إذا كان طويلا من غير أن يثبت سنده أو يحيل على كتب الحديث، كما كان يسوق الأبيات الشعرية في كثير من الأحيان من غير نسبة إلى أصحابها ولا إحالة على دواوين الشعر وكتب الشواهد، والشيخ في ذلك يتابع أسلافه من العلماء الذين كانوا يكتفون بذكر جزء من الشاهد لعلمهم أن القرّاء والمتعلمين _آنذاك – كانوا يحفظون القرآن الكريم والكثير من الأحاديث الشريفة وأشعار العرب، أما اليوم فقد تبدلت الحال، وصار قليل من الناس من يحفظ القرآن، لذلك كان على الشيخ – رحمه الله - ألا يغفل هذه المسألة.

ومن منهجه – كذلك - في إيراد الشواهد أن يكتفي في المسألة الواحدة بشاهد واحد، وقد يسوق لها جملة من الشواهد المتنوعة إمعانا في توضيحها وإزالة الغموض عنها، وقد جاءت شواهد الشيخ في شرحه على النحو الآتي:

- **الشواهد القرآنية**. أخذت نصيبا وافرا في الشرح، إذ كان الشارح يكثر منها بحيث لا تكاد تمر صفحة من الكتاب إلا ويسوق آية أو آيتين أو أكثر، وذلك إنما ينبئ عن سعة ثقافته الدينية ، فهو كما نعلم حافظ ومعلم للقرآن الكريم، وخطيب، ومدرس، وفقيه مفت، ومؤلف في العلوم الشرعية، إنه عالم موسوعي كغيره من كبار العلماء القدامى الذين قل نظائرهم، وكل هذا نجد له أثرا في مصنفاته المتنوعة ومصنفه الذي بين أيدينا على وجه الخصوص، والذي بلغت شواهده القرآنية واحدا وتسعين ومائة (191) آية، وهو عدد معتبر إذا أخذ في الحسبان صغر حجم هذا المصنف، وفي المقابل نجد الشيخ بلعالم قليل الاستشهاد بالقراءات القرآنية، إذ لم يستشهد بها إلا في موضعين، أولهما: في "باب الاستثناء"، وجاء فيه: (... قوله تعالى:(ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ) قرأ السبعة غير ابن عامر بالرفع على الإبدال من "الواو" في "ما فعلوه"، وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على الاستثناء، ومثال النهي قوله تعالى: (ولا يَلْتَفِتُ مِنْكُم أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتُكَ) قال أبو عمرو وابن كثير بالرفع على الإبدال من "أحدٌ" وقرأ الباقون بالنصب على الاستثناء).[63] والموضع الثاني في "باب ما لا ينصرف"، حيث أشار إلى أن بعض القراءات تصرف "سلاسلَ" من قوله تعالى: (سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا).[64]

- **الأحاديث النبوية**. وقد كان الشيخ بلعالم مقلا في الاستشهاد بها على عادة النحاة القدماء، إذ بلغ مجموع ما استشهد به منها عشرة أحاديث، معظمها استدل به واعظا القارئ ليتحلى بما فيها من معان

إيمانية، كقوله: (من علامة حلاوة الإيمان إذا أحب العبد أخاه فليحبه لله، كما قال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحَبَّ إليه مما سواهُما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، كما يكره أن يلقى في النار").[65] ومنها ما استشهد به على معنى من المعاني اللغوية، من ذلك ما جاء في شرح معانى "الإعراب"، إذ ذكر أن من معانيه "البيان" ثم استشهد لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: "الثيب تعرب عن نفسها".[66]

- **الشواهد الشعرية**. تحتل المرتبة الثانية بعد الشواهد القرآنية من حيث عددها، فقد بلغت واحدا وثمانين (81) بيتا أو شطر بيت، وهذا تقليد سار عليه كثير من النحويين القدامى، الذين كانوا يولون الشاهد الشعري أهمية بالغة فيقدمونه على الحديث الشريف في الاستشهاد، وأغلب هذه الشواهد التي ساقها الشيخ بلعالم مشهور متداول بين النحاة مبسوط في كتبهم، يرافق القاعدة عندهم كأساس تبنى عليه، أو يأتي لمجرد توضحيها وبيانها.

- **الأمثال والأقوال المأثورة**. لم يكن النحاة يكثرون من الاستشهاد بالأمثال والأقوال المأثورة كاستشهادهم بالقرآن الكريم والشعر العربي، ربما لأن تلك الأمثال والأقوال لم تتضمن كثيرا من الضرورات والخروج عن المألوف الذي كان النحاة يلتقطونه للاحتجاج به على خصومهم، فلما استقر الدرس النحوي وانقضى عهد التقعيد والنزاعات المذهبية ورث المتأخرون عن أسلافهم تلك الشواهد النحوية فاستعانوا بها في التمثيل للقواعد وتوضيحها ولم يزيدوا عليها إلا في النادر، وقد حذا الشيخ بلعالم حذو هؤلاء المتأخرين فاستقى من تلك الشواهد الموروثة بعض الأمثال والأقوال المأثورة ليمثل بها أثناء الشرح وكان في ذلك من الزاهدين، ومن أمثلة ذلك تمثيله بقولهم: "مُكره أخاك لا بطل"، وبقولهم: "مشنوء من يشنؤك"، وقولهم: "خرقَ الثوبُ المسمارَ" و: "من طابت سَرِيرته حُمِدت سيرته".[67]

والذي يتمعن في شواهد الشيخ بلعالم وكيفية توزيعها في الشرح يكتشف سعة الثقافة الدينية والأدبية واللغوية عند الشيخ بلعالم وقوة حافظته وقدرته على استحضار الشاهد والمثل في موضعه، وهو ما يؤكد مرة أخرى موسوعية هذا العالم وتفوقه، فحُقّ له أن يسلك في صف السيوطي وابن هشام وابن مالك وأمثالهم.

4- خاتمة:

في ختام هذا البحث نخلص إلى أن الشيخ محمد باي بلعالم كان موفقا إلى حد كبير في شرحه على "ملحة الإعراب" للحريري، من خلال المنهج الذي اتبعه، والذي يتسم بجملة من الخصائص نجملها فيما يلي:

- التزم الشيخ بلعالم – رحمه الله – في عرض مادة شرحه بترتيب أبيات "الملحة" كما جاءت في الأصل، من دون أي يحدث عليها أي تعديل،
- كان الشيخ يلتزم بتقديم شرح معجمي وتعريف اصطلاحي للباب أو الفصل يستهل به شرحه للأبيات،
- كان أسلوب الشرح أسلوبا علميا محضا يتسم بالدقة والوضوح والتركيز والإيجاز في العبارة وترك فضول الكلام.
- يهتم الشيخ بلعالم كثيرا بالإعراب ويكثر منه أثناء الشرح.
- يميل أسلوب الشارح إلى النزعة التعليمية، ومن مظاهرها: التقسيم والتفصيل، والاكتفاء بما يحتاج إليه الطالب المتعلم، والإكثار من التطبيقات التعليمية.
- كان الشيخ بلعالم - رحمه الله تعالى – في شرحه هذا يستعين بمصادر متنوعة كغيره من العلماء والشراح، منها مؤلفاته الخاصة، ومصنفات غيره من العلماء القدماء والمتأخرين.
- تنوعت شواهد الشيخ بلعالم في "منحة الأتراب" بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعرية ومأثور كلام العرب، وقد كان يسوق تلك الشواهد لتوضيح قاعدة نحوية، أو لتأكيد فكرة ما عنّت له في أثناء الشرح.

5. قائمة المراجع:

- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط 03، 1985.
- باي بلعالم محمد، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ط 01، 2005.
- باي بلعالم محمد، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، دار هومة، الجزائر.

- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الحريري أبو محمد القاسم بن علي، شرح ملحة الإعراب، تح: فائز فارس، دار الأمل، إربد-الأردن، ط01، 1991.
- ساسي إبراهيم، قراءة في مؤلفات الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله، جريدة البصائر العدد: 452-453، جويلية 2009.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة آولف، أبحاث للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 02،2007.
- القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 01، 1986.
- يوسف بن حفيظ، تحية إلى شيخنا محمد باي بلعالم،جريدة البصائر،العدد: 306،سبتمبر2006.

5- الهوامش:

[1] - انظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 01، 1986، ج 03، ص 23-27. و ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط 03، 1985، ص 278-281.

[2] - انظر:حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 1817-1818.

[3] - عبد المجيد قدي، صفحات من تاريخ منطقة آولف، أبحاث للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 02،2007، ص112.

[4] - انظر: يوسف بن حفيظ، تحية إلى شيخنا محمد باي بلعالم،جريدة البصائر،العدد:306،سبتمبر2006،ص16.

[5]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[6] - انظر: الشيخ باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ط 01، 2005، ج 01، ص 378.

[7] - انظر: إبراهيم ساسي، قراءة في مؤلفات الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله، جريدة البصائر العدد: 452-453، جويلية 2009، ص 18.

[8]- محمد باي بلعالم، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، دار هومة، الجزائر، ص 159.

[9] - المصدر نفسه، ص 03.

[10]- المصدر نفسه، ص 65، 96.

[11] - انظر: أبو محمد القاسم بن علي الحريري، شرح ملحة الإعراب، تح: فائز فارس، دار الأمل، إربد-الأردن، ط01،

1991، ص 29-30.

[12] - محمد باي بلعالم، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، ص 10.

[13] - المصدر نفسه، ص 71.

[14] - نفسه، ص 18.

[15] - نفسه، ص 19.

[16] - نفسه، ص 06.

[17] - سورة طه: من الآية 81.

[18] - محمد باي بلعالم، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، ص 134.

[19] - المصدر نفسه، ص 04.

[20] - نفسه، ص 32.

[21] - نفسه، ص 59.

[22] - نفسه، ص 114.

[23] - نفسه، ص 38.

[24] - نفسه، ص 47.

[25] - نفسه، ص 132-133.

[26] - نفسه، ص 07-08.

[27] - نفسه، ص 11-12.

[28] - نفسه، ص 15,

[29] - نفسه، ص 115.

[30] - نفسه، ص 35, وانظر: ص 09، 114.

[31] - انظر: نفسه، ص 130.

[32] - نفسه، ص 14-15.

[33] - نفسه، ص 107.

[34] - نفسه، ص 149. وانظر: ص 13، 42، 104.

[35] - انظر: نفسه، ص 53-54.

[36] - نفسه، ص 128.

[37] - نفسه، ص 13. وانظر أيضا: ص 22، 47، 53، 57، 65، 94، 151.

[38] - انظر: نفسه، ص 15.

[39] - انظر: نفسه، ص 138.

[40] - نفسه، ص 73.

[41] - نفسه، ص 127-128.

[42] - نفسه، ص 144.

[43] - نفسه، ص 09.

[44] - نفسه، ص 26.

[45] - نفسه، ص 74.

[46] - انظر: نفسه، ص 35، 61-62.

[47] - نفسه، ص 22.

[48] - نفسه، ص 116.

[49] - انظر: نفسه، ص 10،47.

[50] - انظر: نفسه، ص 38، 132.

[51] - انظر: نفسه، ص 12، 21، 25، 62، 68، 72، 76، 82، 85، 95، 116.

[52] - انظر: نفسه، ص 19، 154-155.

[53] - انظر: نفسه، ص 19.

[54] - انظر: نفسه، ص 53.

[55] - انظر: نفسه، ص 66.

[56] - انظر: نفسه، ص 72.

[57] - انظر: نفسه، ص21، 57، 154.

[58] - نفسه، ص09. وانظر كذلك: ص 12، 13، 16، 25، 27، 40، 42، 45، 49، 50، 51، 57، 59، 60، 61، 66، 67، 69، 70، 72، 75... وغيرها.

[59]- نفسه، ص 38. وانظر كذلك: ص36، 39، 40.

[60] - نفسه، ص 58.

[61] - نفسه، ص 121.

[62] - نفسه، ص 15. وانظر كذلك: ص 13، 20، 22، 30، 99، 149.

[63] - نفسه، ص 81.

[64] - انظر: نفسه، ص 128.

[65] - نفسه، ص 137.

[66] - انظر: نفسه، ص 20.

[67] - انظر: نفسه، ص 25، 49، 55، 58، 70.